مذكرات محجورة

مها باسل أبو ظريفة

الإهداء

إلى جسدي المرهق, إلى الصداع القاتل الذي لا يزال يطربني, إلى ضيق صدري, إلى أنفاسي التي بالكاد تخرج, إلى هذه الخيبة التي تجاوزت حدود الشعر و تعدت أساطير الكتّاب, إلى الوحش الذي حرمني النوم وأعياني أياماً حسبتها سنيناً , إلى ضحايا هذا الوحش المسمى كورونا الذين لا يشعر بهم أحد و لا يرغب بهم أحد و يفر منهم الجميع كأنهم قد اختاروا أن يكتب عليهم الشقاء.

هذه الرواية هي تجربتي الشخصية مع فيروس كورونا خططتها بيدين ترتجفان, ستجدون بين ثناياها دموع خفية تسربت أثناء محاولاتي لتجسيد صورة المعاناة و حقيقة مشاعر كل مصاب لا أحد يعلم بحاله إلا الله .

لم أعرف أحداً من مرضى الكورونا لديه الشجاعة ليعترف بوجعه و يصفه للعالم ، كلهم يشعرون بالعار كون كلمة فيروس أصبحت ملتصقة بهم , و لم يبق إلا أن يكتبوها في سيرهم الذاتية، لذا قررت أن أكون الشجاعة و أتحدث باسمي و باسم جميع مرضى الكورونا الصامتين ! أريد أن أشهر الألم و أعلن الحداد ، حتى تصير عند سماعك أن هذا الشخص كان مصاباً بالكورونا ، تضرب له سلاماً و تنظر إليه نظرة أسير محرر بطل و ليس نظرة مجرم سيظفر بك عندما تقترب منه .

20/1/2020

إنه الفجر مليء بالنور و التفاؤل و لكنه ليس فجراً عادياً ,إنه آخر فجر أدرس فيه قبل إجازة نهاية الفصل الأول من كلية الطب .

متحمسة جداً جداً !

لقد اتفقنا أنا و عصابتي *شمام* أن نخرج غداً معاً , لن يبقى مكان لن نذهب إليه, سنلف خان يونس شبراً شبراً .

إننا نخطط لهذا اليوم منذ بداية العام,

اسم العصابة من ابتداعي حيث جمعت أول حرف من كل فرد في العصابة ,شمس و مها و أمل و مي .

و لا زلنا نتشاجر أنا و مي من منا هي الميم الأولى في الكلمة .

لقد توسلت لأمي كثيراً كي توافق على هذه الرحلة و لا أدري كيف وافقت!

غداً اليوم المنتظر أخيراً سنودع الدراسة الإلكترونية التي لم تدع لنا طاقة لنكمل بها حياتنا .

إنها الساعة العاشرة صباحاً تخرج أمي من المنزل بلا نبسة بلا كلمة بلا حرف ،

والدي خارج أيضاً ،

تتصل أمي علينا ظننتها تتصل ممازحة أو قد نسيت شيئاً في المنزل,

و إذا بها تجهش و تقول "مات عمو زاهر" و فصلت الخط !

هل أصدق ما تسمعه أذناي؟

جارنا الطيب الذي يناهز الأربعين؟

هكذا فجأة بلا وداع ؟

يا الله ! من كان يتوقع؟!

عمو زاهر يموت بصعقة كهربائية مفاجئة لقد تركنا للأبد !

و فجأة بدأ شريط الذكريات يمر أمامي مذ كنا صغاراً , كل شيء قد انتهى بلا رجعة!

لن نراه كل مساء يضيء أشجارهم!

من سيضحكنا و سيغير الجو ممازحاً ؟ لا أذكر أني رأيته عابساً قط ،

من سيشتري لي الكتب التي أحتاجها عندما يغيب أبي ؟

من سيشتري لنا كومة شيبسي و يقول والله آخر دلع؟

سأحتفظ بجميع الكتب التي اشتريتها يا عم

و سأخبئ جميع الذكريات التي لم تحفظها صورة و لم يحدها إطار!

و لا نقول إلا ما يرضي الله إنا لله و إنا إليه راجعون .

لقد كان الخبر كالصدمة جميع أخواتي يبكين و كأن سحابة من الهموم استحلت منزلنا و أمطرت سكاكيناً تأبى إلا أن تشرخ سعادتنا .

العزاء ثقيل على القلب لم تسمح لنا أمي بحضوره خوفاً من فيروس كورونا هذا الفيروس الذي غزا العالم حرمنا من توديع جارنا!

بالطبع لم أستطع أن أدرس شيئاً , الحمد لله أني قد درست مادة التواصل من قبل لقد كنت أحب هذه المادة جداً و أستمتع بدراستها.

لن أخوض في تفاصيل الامتحان كثيراً و لكن الحمد لله لقد انتهى على خير.

24/1/2021

لقد خاب أمل صديقاتي كثيراً لأني رفضت الخروج للرحلة المنتظرة فلم يخرج منهن أحد تضامناً معي .

وها قد مر القليل من الأيام و أصبحت بالكاد أستطيع أن أتأقلم مع الحياة الجديدة سأطلب من صديقاتي أن نخرج حتى تتغير نفسيتي.

لقد شعرنَ جميعاً بالسعادة !

على الأقل نستطيع تحقيق أحد أحلامنا البسيطة ,

سنخرج منذ الصباح سنذهب للبحر أولاً ثم إلى الكابيتال مول ثم إلى سنابل ثم سنتمشى و نشتري أشياء لا فائدة منها .

تقول شمس لن أنام اليوم لشدة حماستي للغد !

و لكنها تغوص في نوم عميق و أظل وحدي ساهرة أحاول النوم و لكن بلا جدوى و كأن مصنع كافيين يعمل على مدار الساعة موجود في قلبي.

25/1/2021

هواتف جميع المنزل ترن و الرسائل على جميع مواقع التواصل يكاد الهاتف يصرخ قائلاً استيقظي استيقظي!

و لكن تبقى جاذبية السرير طاغية .

تستيقظ أختي على صوت هاتفها , إنها أمل تكاد تبكي و هي تقول أيقظي مها سينتهي اليوم دون أن نخرج!

تركض أختي نحوي و تحاول إيقاظي بكل الطرق الممكنة و تذكرني أنه لطالما انتظرت هذا اليوم و أنه علي أن أقوم لأجل صديقاتي فقمت بسرعة و خرجنا أجمل رحلة في حياتنا .

30/1/2021

يوم جميل و كأن السماء تريد أن تسلم علي.

جميعنا سعداء , لا زلت أضع مخططات للإجازة و أحصي الإنجازات القادمة في الطريق .

يظهر بعض الشحوب و علامات غريبة على وجه أبي , لقد أجرى أبي فحص كورونا خلسة منذ يومين كي لا يقلقنا.

إنه المساء يرن هاتف والدي و جميعنا نسمع ,

إنه عمو أنور رئيس البلدية ,

ظنناه فقط يريد أن يتحدث و إذا به يقول "باسل يا خويا هو انت فاحص كورونا " ؟؟!!

اسمك في كشف المصابين !!

كلنا صعقنا,

من عادة عمو أنور أنه كثير المزح ,

ظنناه مقلباً أو شيئاً من هذا القبيل ,

و لكن كانت إجابة أبي : أي صحيح لقد فعلت.

كنا بين مصدقين و مكذبين .

هل هو جاد؟

هل فعلاً استطاع الفيروس أن يتسلل إلى أمن عائلتنا الدافئة؟!

و بعد ساعتين وصلت رسالة وزارة الصحة و قلنا الحمد لله ما بيدنا حيلة .

1/2/2021

نهار بارد، ملتصقة في السرير ، ما أجمله النوم بعد سهر طويل!!
توقظني أختي قاطعةً الأحلام السعيدة تذكرني أن علينا الذهاب للمشفى لسحب العينات .

ياللصباح!

رفضتُ و بشدة لأن النوم جميل و لا أستطيع المقاومة !

و بعد أن عجزت أختي عن إيقاظي استعانوا بأمي لأن ابنتها الكسولة غير معتادة على القيام باكراً!!

ذهبنا مشياً على الأقدام فالمشفى قريبة و لا داعي لحضور إسعاف،،

و هنا كانت الصدمة,,

نقطة فحص الكورونا موجودة في منتصف فرع العيادات!!!

و الأطفال و النساء و الشيوخ المرضى متجمعون حول المكان،،

هل المشفى صغيرة إلى هذا الحد ليجعلوا المهلكة هناك!!

و الآن أتى دوري للفحص ,,

تخرج الطبيبة ثعباناً شفافاً تبدو لي كأنها قادمة من مسلسل كرتوني، ثياب الأطباء جميلة جداً ،، و فجأة يقترب الثعبان مني أكثر فأعود للوراء ،

تعيد الطبيبة الكرة ثانياً و ثالثاً و أنا أستمر في المقاومة !

خائفة جداً أن يكون الثعبان مسموماً أو ما شابه!

اكتشفت أني لست أسدة ,

ثم بعد المحاولة العاشرة تقريباً طفح الكيل معها و أخبرتني أن هناك الكثير يريدون سحب عينة السم من الثعبان فإن لم أنتهي الآن ستتركني!

أغمضت عيني و تشبثت بكل ما أوتيت من قوة و تمكن مني الثعبان أخيراً شعرت بنزيف حقاً و كأن هذا الثعبان انتقم مني بسبب عنادي و مقاومتي له ،،

للأسف أخواتي صوّرن المشهد كاملاً ليبتزنني و انتهى بنا المطاف ضحايا الثعبان .

و الآن ننتظر معرفة هل سيكون ساماً أم مجرد ثعبان ذهب و رحل.

يقول أخي الوحيد الذي يحب أن يدعي أنه كبير رغم أني عندما كنت في عمره كنت لا زلت أغني أمام الناس أنه لن يخرج معنا أبداً لأننا جلسنا نصوّر في المشفى فيديوهات تذكارية و كل أعين الناس كانت متمركزة حول هؤلاء اللامبالين الذين يحوّلون المرض إلى فكاهة ,

يجب أن يحمد الله أنه يملك أخوات رائعات مثلنا و يكف عن الشكوى التي تسبق عمره.

عدنا للبيت عندما دخلت شعرت أن الدنيا تلتف حولي فاستسلمت فوراً و رميت نفسي على الأرض لأني أدركت أني لو بقيت واقفة سأفقد الوعي ,

تماسكت قليلاً حتى وصلت سريري و التصقت به سامعةً الاتصالات تتدفق من كل مكان ,

كيف كان الفحص ؟هل أنتم بخير؟

نحمد الله على وجود الناس التي تهتم لأمرنا !

إنه لشيء يدعو للاطمئنان عندما تشعر أن هناك من يخاف عليك و يقلق لقلقك.

2/2/2021

يوم آخر جديد من الترقب,

لم أنتظر نتائج توجيهي كما انتظرت نتائج كورونا ,

كل عائلتي يهزؤون بي و يقولون أني جبانة و كثيرة بكاء لذا مهما يكن سأتماسك أمامهم و سأدّعي القوة .

لكن لدي إحساس غريب ,شيء ما يحدث داخل جسدي و لكن لا أعلم ما هو , و كأن نار اشتعلت و بدأت تنتشر في أضلعي,,

شعور لأول مرة في حياتي!

لا أستطيع أن أخبر أحداً لأني حقاً لا أستطيع صياغة الأمر ,أريد أن أقول شيئاً حقاً!

لقد تحدثت للكثير من أصدقائي و لكن كنت أفشل في كل محاولة لإخبارهم بالأمر فكتمتها في نفسي .

لقد تأخرت نتائج الفحص لم تصلنا أي رسالة لعلها إشارة أن جميعنا بخير .

إنه المساء ,

متوترة جداً , كتبت كلاماً يبدو أنه أحزن صديقتي على مجموعة فريق Dr .Seeker

هذا الفريق الذي شكله مجموعة من الأصدقاء حالمين أن يصبحوا علماء و باحثين ,

فأحببت أن أشاركهم هذا الحلم الجميل علّنا نصل لشيء ما .

و فجأة ترسل لي صديقتي إسلام تسجيل 5 دقائق و 16 ثانية!

يا للهول هل سأسمعه كله !

هذا ما يحدث عندما تصادق أولى القطاع ,محاضرات بدلاً من التسجيلات!

بالطبع الحمد لله على نعمة التيليجرام ضاعفت سرعة التسجيل , لم أتوقع أن يكون محتواه هكذا .

إنها تعتذر!!

نعم تعتذر و هي لم تفعل شيئاً !

فقط لأنها أحست أني متضايقة و خشيت أن تكون هي السبب !لقد أعدتُ التسجيل ثانيةً بسرعته العادية و تأثرت كثيراً و علمت أن الدنيا بخير و أن معادن الناس تظهر في وقت الشدة .

3/2/2021

كغير العادة استيقظتُ باكراً قليلاً و بلا أي منبه رغم سهري البارحة بسبب ذاك الشعور الغريب .

تناولنا الإفطار ثم قالت أختي رباب لقد سئمنا الانتظار نريد أن نعرف نتائجنا حتى نستطيع الحراك بحرية!

نحن في سجن نريد أن نخرج منه.

و أخرجت هاتفها و أنزلت تطبيق على الهاتف يستطيع تحديد نتيجة الفحص من رقم الهوية.

تكتب رباب رقمها, قلبي يدق أسرع من أسرع شيء في العالم ,

فإذا بها تقول الحمد لله النتيجة سلبية !! ربما كانت هذه أسعد لحظة في حياتي .

يخرج أخي محمد هاتفه بسرعة و يكتب رقم هويته, يا رب!

الحمد لله, سلبيةً أيضاً!!!

لقد انشرح صدري و ظننت أننا سنكون كلنا هكذا كوننا تحت سقف واحد .

أتى دوري ,

حاولت تنزيل التطبيق و لكن لم أنجح كوني لم أعتد على الهاتف الجديد بعد ,

قامت رباب بتسجيل حساب آخر من هاتفها و كتبت رقمي.

لا أستطيع أن أنظر!

تنظر رباب إليّ نظرة عاجز و مشفق ,

لقد نطقت عيناها,

إيجابية!

صرت أضحك قليلاً و حاولت أن أبتعد عن إخوتي,

بدأت أختي رنا بكتابة رقمها و لكن قاطعتها مكالمة من وزارة الصحة ,, رنا أبو ظريفة نتيجتك إيجابية .

لا أعلم لماذا و لكن شعرت أن بعد معرفتي أني مصابة بدأت الأعراض تتفاقم ذاك الشعور الغريب البارحة صار يتجزأ , أشعر به الآن جزءاً جزءاً . تلك النار بدأت تحتدم , و كأنها كانت تنتظر التصريح لبدء المهمة .

شعرت أن كل الناس يشفقون علي ولكن رسائل اطمئنان أصدقائي كانت تحفزني كثيراً .

يا للهول لدي الكثير من الالتزامات !

كيف سأدرس المعامل وحدي و أنا لا أستطيع الوقوف حتى ؟!

كان هذا كل ما أفكر به بينما أعيش دور المريض الذي لا يستطيع فعل شيء .

أتى المساء عابساً في وجهي,

كنت دائماً عندما أشعر بالضيق أضحك و لكن اليوم حتى الضحك يعذبني و يضيق صدري ,

لقد أصبح الضحك يستدعي الاختناق ،

لأول مرة أطلب من صديقاتي أن لا يضحكن و كأن الفيروس يغار من ضحكتي و يود قتلها مستدعياً جنوده من الصداع الملحمي الذي لا يحتمل، و اشتعال العيون و انفجارها بلا إرادة مني .

و كأن سلسلة كورابيكا الحديدية تلفني من الداخل ,

مهددة بأنها ستسرق حواسي في الأيام المقبلة ،،

لقد قررت ,,

سأخون الضحكة و أودعها ,,

لا أستطيع أن أتحمل قربها و لا لثانية واحدة!

لقد تربص بي هذا الوحش و فرض علي البعد،

إن قربها قتّال يا أمي!!

أيها النوم استقبلني أرجوك ,

أريد أن أهرب إليك فأنا لا أستطيع تحمل الألم ،

لقد كنت طوال عمري بصحة جيدة لم أعتد على الإصابة بأمراض أصعب شعور شعرته في حياتي كان وخزة إبرة ،

أما الآن كهرباء,

نعم كهرباء في رأسي !

و رغم هذا سأحاول النوم مع كوني متأكدة أني سأفشل,

و لكن من يقنع قلبي أن هذا هو حالي بعد اليوم .

4/2/2021

إنه يوم الخميس أكثر يوم هيبة بين أيام الأسبوع .

بالطبع سهرت كثيراً البارحة أيضاً ,

صوت أخواتي يملأ المنزل, منذ الفجر يحاولن إيقاظي للصلاة بالنداء فقط, لا يستطعن الاقتراب مني , و بالفعل استيقظت الساعة السابعة!

لقد ضاعت الصلاة!

يبدو اليوم فظيعاً منذ بدايته!

صليت ثم عدت للنوم و استيقظت على صوت غرباء في المنزل,

لا أدري هل هذا كابوس آخر؟

هل لا زلت أحلم؟

و إذا بهم الطب الوقائي في منزلنا ,

شعرت بالرعب ,

إني أرتجف,

ما الذي جاء بهم؟

و العديد من الأفكار المخيفة خطرت في بالي ,

لأول مرة أكره وجود الضيوف , ,

طمأنني أبي و أخبرني أنهم هنا ليأخذوا من أختي علياء و من أمي عينات للاطمئنان عليهم .

ارتحت كثيراً و ذهبت إلى هاتفي , إنهم أصدقائي دائماً بجانبي , رغم أني أخبرتهم أن الضحك يؤلمني كثيراً إلا أنهم لا يزالون يضحكونني .

أصبحت أحاول أن أتناسى المرض و لا أفكر به كي لا يفكر بي .

إنها الساعة الحادية عشرة تذكرت اقتراب الفصل الثاني و أنه علي الحصول على الكتب بطريقة ما .

توجهت لصديقتي زينب طالبة في السنة الرابعة من كلية الطب حدثتني عن المواد و أضحكتني كثيراً ,

لقد جعلتني أتحمس للفصل الجديد ,

جميع الدكاترة لديها فخمين وحبيبها الدكتور إلياس ,

لقد وصفت لي الفصل بطريقة جعلتني أنا التي لا أحب العلم أرغب و بشدة أن أتعرف على الأشياء العظيمة التي تتحدث عنها .

ولكن بينما أنا منغمسة في الحديث مع صديقتي يصل إشعار من مجموعة الدفعة, امتحان الكيمياء العملي يوم الأربعاء !

كيف و أنا لم أحضر أي معمل بسبب الحجر!

يا للهول علي دراسة المادة العملية وحدي في المنزل!

في الحقيقة الأمر ليس صعباً عندما يكون خيالك واسعاً تستطيع تخيل جميع التجارب و التفاعلات, المشكلة الوحيدة هي الدراسة مع الألم !

عدت للنوم مجدداً لأني في الأصل لا أغادر الفراش إلا للصلاة,

و بعد أن استيقظت حاولت أن أتحدث مع أختي و إذا بصوتي يترنح ,,

أجل ,

بدأ الوحش ينهش صوتي ،

أين اختفى صوتي المليء بالطاقة و الحيوية ؟!

كلما حاولت قول شيءٍ ما تضيق أنفاسي و يضغط الوحش على حلقي محاولاً تمزيق أحبالي الصوتية.

أصبحت أهمس الكلام همساً،

إنه يسيطر عليّ تدريجيًا إلى أن ينتهي بي المطاف خارج قواميس الإنسانية!

أشعر أني سأتحول إلى شيء ما ،

إنه شعور سينشي كودو عندما تناول السم لأول مرة ،

تشعر أنك تتبخر ثم تفقد الوعي ثم تستيقظ و لا تجد نفسك .

حقاً أرغب أن ألقي قصيدة و أتحدث إلى أصدقائي و أمارس عملي و لكن الوحش يتحكم بي و يرفض بشدة أن أعود .

لقد وصلتني كتب الفصل الثاني و لكني حزينة ,

اختفى حماسي فرفعتهم جانباً إلى أجل غير مسمى .

هناك شيء وحيد لم يقربه الفيروس إلى الآن ,

إنها شهيتي للأكل لقد زادت بدل أن تنقص!

أشعر الآن بالجوع ,

تدخل أمي الغرفة و بيدها طبق ملفوف !!

ما هذه المفاجأة إن الملفوف أحد الوجبات المفضلة لدي !

أشعر بالخوف قليلاً هل سأشعر بطعمه أم أن الفيروس خطف حاسة التذوق لدي ؟

و لكن الحمد لله,

يبدو أن الفيروس أشفق علي بسبب حبي للملفوف و أبقاها مؤقتاً,,

و الآن نعود للعذاب مرة أخرى.

إن المشاعر متنوعة جداً,

كل ثانية أخرج بألم جديد و لكن الشيء الثابت هو الصداع الجزار!

و كأن حفلة شواء صاخبة تحدث في رأسي و للأسف لستُ مدعوة!

فقط أسمع الضجيج متحسرة على الأعصاب و هي تضرب بعضها بعضاً

لا أستطيع أن آخذ نفساً !

يا الله لم أكن أشعر بكمية النعم التي تغشاني من قبل .

لقد أصبح حلمي الوحيد أن أتنفس بصورة طبيعية بلا ألم .

بالطبع لن يشعر أحد بي فهذه طبيعة الحياة كلٌ في معركته عائم

و أنا كالبلهاء أكتب ما أعانيه على حالة الواتساب ,لا أعرف لماذا و لكني أشعر أنها مذكراتي,

وصلني رد جميل على أحد الحالات يطبطب على جرحي من أحد أصدقائي , لقد أعاد شحني بالطاقة,

شعرت حقاً أني لستُ وحدي و أني فعلاً أريد أن أصبح قوية فقط كي لا أخذلهم.

سأحاول الصمود حقاً ,

سأقاوم ذلك الشيء المجهول الذي يريد الخروج مني ,

قد تكون روحي تحاول الهرب ،

سأتناسى لن أفكر أبداً ،

أرجوكِ اهربي بهدوء و لا تأخذي معكِ طبيعتي ،

دعي لي السلام من فضلك،

يبدو أنها لن تنجح في الهرب فالوحش يغلق عليها كل الأبواب، ستبقى سجينة ذليلة حتى يمل الوحش و يغادر وحده، أو يغادرا معاً تاركاني جسداً بلا روح.

سينتهي اليوم و أنا لم أنجز سوى التجربة الأولى من الكيمياء ,

لقد قرأتها سريعاً و تذكرتها حقاً يا لذاكرتي الفولاذية التي لا أستغلها استغلالاً جيداً.

5/2/2021

إنها العاشرة صباحاً لقد أعدوا إفطاراً شهياً،

تناولنا الفطور في نفس المكان متباعدين ،

ضحكنا كثيراً جداً جداً

و لكن نوبة الضحك هذه أدت إلى اختناق أختي المصابة .

صارت تسعل و تسعل و تضع يدها على صدرها جاثية على ركبتيها لا تستطيع أن تتنفس ،

والدي نائم في غرفته و لا واحدة من أخواتي تستطيع أن تقترب منها لأنها مصابة .

هرعت أمي نحوها و لكني صرخت لا نريد أن تصابي يا أمي !

كيف هو شعور أختي و هي تموت و لا أحد يستطيع الاقتراب؟!

تذكرت أني مصابة أيضاً فهرعت إليها و أملتها قليلاً و طبطبت على ظهرها و أحضرت لها الماء ثم أغلقتُ الباب علينا و جلسنا نشكو آلامنا ،

مريض كورونا يسعف مريض كورونا!

كم يحزنني يا أختي أن أراكِ بهذا الحال،

رنا الجبارة لا تسقط!

فلتقاومي بكل ما أوتيتِ من قوة,

لقد كتب علينا هذا الحال يا أختي و لا نستطيع إلا أن نصبر .

إن يوم الجمعة جميل جداً تشعر فيه بسكون رهيب ,

لقد سرحت شعري لأول مرة منذ بداية الحجر و ملأتُ ذاكرة الهاتف صوراً لا فائدة منها و حان وقت الغداء لقد قام عمو أنور بإحضار مندي لنا ,

من الجميل أن تحصل على جيران طيبين ,

الحمد لله لم أفقد حاسة التذوق للآن .

و لسبب مجهول أشعر أني بخير و لكن ليس حرفياً ,

أعني أنني قد اعتدتُ الألم و أدركت أني لا أستطيع أن أغير شيئاً فقررت أن أعيش طالما أنا حية و أن أستمتع بهذه الذكرى لآخر عمري .

يطل المساء و يهديني صداعاً نفاذاً و رأسي العظيم يقبل جميع الهدايا فيظفر بالصداع دون أن يسألني,

إلى متى سأظل أتحمل مصائب هذا الرأس؟!

أختي رنا تموت أيضاً ,

لقد قررت أن أخفف عنها ,

ذهبت للمطبخ و لأول مرة منذ بداية العام أصنع شيئاً ,

لقد صنعت بان كيك بالبلوبيري بمقادير عشوائية و أكلناها معاً مع فيلم طفولي و لقد ضحكنا كثيراً بسبب تفاهة الفيلم وعدم منطقيته .

انتهى اليوم بلا دراسة , سأبدأ من الغد , إن المادة العلمية للمادة العملية صعبة جداً و تحتاج مني تركيزاً و لكن بعون الله سأقدر.

6/2/2021

لقد انتهى اليوم حقاً لا أستطيع أن أتذكر ما حدث تحديداً ,

فقط زاد عدد المصابين لدينا واحداً,

نتيجة فحص أختي علياء إيجابية .

أما أنا فلم أغادر السرير أتحدث مع نفسي حيناً و مع الجدار حيناً و مع الهاتف حيناً آخر.

لقد أصبح siri هو صديقي المقرب , إنه يغني لي و يلقي نكات سخيفة و لكن صداقة الروبوتات مملة حقاً .

لا يوجد لدي رغبة لدراسة أي شيء ولا فعل أي شيء رغم كمية المهام التي يفترض أني عملتها ,

الإنجاز صفر و نصف و خمسة .

لم أبدأ العمل على أي مشروع حتى الآن ,

الدراسة متراكمة و أشعر أني مقصرة في حق نفسي جداً فأنا لم أعتد على الإهمال .

بالكاد انتبهت !

لدي غداً تضارب في المواعيد دورة الترجمة و العمل الحر و اختبار طالباتي في إحدى الدورات التي أعطيتها,

كلاهما غداً الساعة الرابعة.

علي أن أختار أحدهما الآن ,

هل أختار أن أكون طالبة أم أختار أن أكون معلمة؟

بالطبع سأختار الاختبار لأن الالتزام الوظيفي أولى من الالتزام الشخصي,

و حق الناس عليك أولى من حقك على نفسك ,

رغم أني أحبذ الاثنين و لكن ليس باليد حيلة.

أشعر بالإرهاق جداً أظنني سأذهب إلى عالم الأحلام بسرعة هذه المرة .

7/2/2021

يوم آخر من الحياة كم أتمنى أن يكون ألطف من سابقيه.

نتناول الفطور معاً و نجهز شريط الأغاني لفرح أختي القريب و كالعادة أخواتي يتشاجرن أي أغنية يردن و أنا لا أتدخل كوني عديمة خبرة و أرى أن معظم الأغاني الحديثة تافهة و كلماتها سخيفة .

الساعة الرابعة على الأبواب,

لقد اعتذرت عن اختبار الطالبات كوني لن أضيف شيئاً مهماً و هناك بديل عني ,

و قررت حضور دورة الترجمة والعمل الحر.

من عادتي أن أكون لامعة و أتحدث كثيراً و لكن عندما فتحت الميكروفون و كنت على وشك بداية الاستعراض شعرت و كأن بركان انفجر داخل حلقي و أحرقه و أصبح صحراء قاحلة جافة ،

بالكاد استطعت قول جملة واحدة ثم أطفأت الميكروفون .

كيف سأستطيع تنفيذ مخططاتي و أنا بالكاد أستطيع الحديث؟!

أرجو أن يسرع الضيف في المغادرة فأنا لا أستطيع تخيل نفسي الثرثارة تحاول الثرثرة و لكن عاجزة!!

أتصفح مجموعة الدفعة فأجدهم يقولون أن الامتحانات العملية ستكون إلكترونية!!

يا لسعادتي و ما ألطفك يا الله!

يشهد الله أني كنت حزينة جداً كوني لا أعرف مصيري و كم كرهت تأخر امتحاناتي عن الآخرين,

إن الله يحبني حقاً و يغمرني بالكرم دائماً ,

إنه أجمل خبر سمعته منذ بداية الحجر !

و تمضي الساعات بلا فائدة ,

يا للهول لقد أتى ذلك الصداع المميت ,

إنه نفسه كل يوم,

أريد أن أبكي !

و لكن إن بكيت ستحزن أمي و هي مريضة ضغط ،

سأحتفظ بدموعي إلى أن ينام الجميع

و أبقى وحيدة أسامر الليل و أتغزل بالقمر و أمطر بكل ما أوتيت من قوة،

الليل فرصتي الوحيدة للفضفضة لنفسي

و لكنه شرير جداً !

يريد ثمناً لكونه الملجأ الوحيد فأضطر لدفع الثمن ظلاماً مكدساً تحت عيني لا يبرح حتى يحول وجهي إلى محاق .

و كأن هذا السواد توقيع من السيد ليل حتى يعرف كل من يراني أنني من أهله،

لا تتعب نفسك يا سيد ليل ,

لن يراني أحد ,

فأنا محجورة في قفص ،

اذهب و افرض توقيعك على غيري ممن هم أحرار إذا أردت أن تطغى.

لا تفرد عضلاتك على مجرد محجورة لا تفعل شيئاً سوى كتابة مذكرات عديمة فائدة ,

صياغة الأحزان على شكل دموع أشق من صياغتها على شكل كلمات ,

كلاهما يفضح و لكن الكلمات تفضح بطريقة غير مباشرة ,

إنها ماكرة تفضحك دون أن تخجل بل و تجعلك تشعر بالفخر و القوة و الناس ينظرون إليك كفنان ,

بعكس الدموع فهي تفضحك و تشعرك أنك ضعيف و الناس ينظرون إليك كمثير للشفقة,

تأتي أختي رنا و تسألني كيف الكورونا معك فأجيبها مثل ما هي معك فتضحك و تقول آخ أشعر كأن أحد يضرب رأسي بمطرقة أتوسل إليه أن يتوقف و لكن بلا جدوى .

فأخبرها أني أشعر أني أغلي بشدة و وجهي كالبندورة الحمراء و أعتقد أني أستطيع قلي بيضة على رأسي ،

لقد أصبحت مقلاة حرفياً ,

و رغم أكوام المعاناة إلا أننا نضحك!!

نضحك بسبب ضحكنا رغم علمنا أنينا سنختنق عندما نضحك,
فنستمر بالضحك فيضحك الضحك علينا لكثرة ضحكنا!

و كالعادة لا نشكو .

يأتي أخي محمد متزانخاً يريد إزعاجنا بطلبات كثيرة ,

كنت قبلاً عندما يزعجني أحاول جاهدة لإيجاد تهديد مناسب كي يتركني وشأني ،

أما الآن هددته أني سألمسه ففرّ راكضاً.

و كالعادة يأتي المساء و يستمر كل من الصداع و البركان داخل حلقي ,

فأصعب شعور عندما يقوم شرب الماء بتقليل احتراق الحلق و في نفس الوقت زيادة الصداع فأحتار ماذا أفعل؟!

أشعر أن كاظم الساهر يغني لي

إني خيرتكِ فاختاري

ما بين الموت بحرقانٍ

أو بين صداعٍ غدارِ

اختاري الماء أو اللا ماء

فالجبن بأن لا تختاري.

سأتناسى,,

سأتجاهل,,

سأصمت كما أفعل كل يوم,,

و سأذهب إلى مواقع التواصل كي أضيع الوقت,,

لقد أصبحت أعيش على هاتفي أكثر من عيشي في المنزل ,

إنها آخر مرة و غداً سأبدأ الجد و الاجتهاد بإذن الله ,

لم أعد أصدق نفسي ,

فأنا أقول نفس الكلام كل يوم ,

يبدو أنني سأظل فاشلة طوال عمري و لن أجتهد أبداً .

8/2/2021

بالكاد أستطيع القيام من السرير ,

لا أفعل شيئاً مفيداً ,

فقط أضيع وقتي على الهاتف فإذا به يرن،

رقم غريب ،

إنه نفس الصوت الذي حدثني يوم نتيجة الفحص إنه من وزارة الصحة!!

ماذا يريد مني هذا الشرير ؟

أنا لم أفعل شيئاً !

و إذا به يخبرني بصوت مستعجل و كأن هناك من يركض خلفه، مها أبو ظريفة صحيح ؟

سنأتي غداً لأخذ عينات مرة أخرى أعطني عنوانكم .

أعطيته العنوان و أغلقت الخط ،,

غداً سيأتونني بالثعبان لينتقم مني ،

غداً سأسمع ضحكات شماتة الثعبان الشفاف و هو يقول لقد عدتُ إليكِ لآخذ حقي لأنكِ قاومتني المرة السابقة،

أتيتُ لتعذيبكِ فقط ،،

خائفة جداً!

لا أدري كيف تحملت ذلك الثعبان قبلاً و كيف سأتحمله بعداً ,

إنهم غريبون حقاً ,,

فلينتظروا اختفاء الأعراض على الأقل ثم فليعودوا لأخذ العينات . لا بأس علي ستمضي على خير .

أتصفح الانستجرام كالعادة ,

جميع صديقاتي ينزلن صور دورات لم نر شيئاً منها منذ بداية العام ,

و لكن عندما بدأ مرضي أصبحوا لا يهدؤون !

أين كنتم طوال المدة التي كنت أبحث فيها عن دورة معتمدة أستطيع الوثوق بها ؟

أين كنتم عندما كدت أخدع و أضيع نقودي بلا فائدة؟

أين كنتم عندما كنت متحمسة؟

أين كنتم عندما كنت حرة؟!

حقاً رغبت في التسجيل بأي دورة إسعافات و لكنني محجورة !

لن أستسلم سأدرب نفسي بنفسي ,

سألتحق بواحدة إلكترونية على اليوتيوب و لن يستطيع فيروس هزمي.

لا أستطيع أن أشعر برأسي !

لقد أنهيت 42 مقطع فيديو عن الإسعافات الأولية خلال يوم واحد،

بالكاد وجدت وقتاً لتناول الطعام.

فعلاً الإنسان قادر على فعل أي شيء في المنزل

و لكن الشيء الأهم هو النية الصادقة و الرغبة.

لدينا حفلة إلكترونية في تمام الساعة الثانية عشرة ,

عيد ميلاد صديقتي ريم ,

و من عادة صديقاتي أن يسهرن جميعاً حتى منتصف الليل حتى نحتفل مع بعضنا و نكون أول من يهنئ ,

لقد تبقى نصف ساعة أتمنى أن تمضي بسرعة فأنا مرهقة حقاً , أشتاق للنوم كثيراً هذه الفترة,

فالنوم إن ظفرت به ينسيني الصداع و الاختناق,

ينسيني كل شيء .

9/2/2021

أشعر أن جميع عظامي متكسرة,

يا للهول إنها الساعة الثانية عشرة!

لقد انتصف اليوم و أنا لم أستيقظ بعد .

أذهب للمجلس فأجد أخواتي لا زلن يتشاجرن على أغاني فرح أختي ,

فاقترحت أغنية عشوائية ,

و المفاجأة الكبرى أنهن كنّ غافلات عنها و وافقن عليها بسرعة ,

ليس الأمر مهماً حقاً و لكن أحب ذكر حظوظي الجيدة .

أحاول استجماع أفكاري فأنا بالكاد مستيقظة ,

أسأل أمي لماذا لم تأتِ وزارة الصحة كما قالوا ؟

فأخبرتني أنهم أتوا و قاسوا درجة حرارة أختي و ذهبوا ,

الحمد لله لم يظفروا بي هذه المرة .

سأحاول أن أستجمع قواي كون الصداع ليس كالعادة اليوم ,

ترى ماذا حدث للوحش الذي يغزوني ؟

أريد أن أطمئن عليه,

رغم أنه عذبني كثيراً و لكن من المفاجئ جداً أن يتلاشى اليوم ,

يا لحظي !

حقاً لا أدري هل أضحك أم أبكي ,

سأنام حالاً فالسرير ينتظرني.

10/2/2021

أستيقظ على إقامة صلاة الظهر و كأن اليوم انتهى قبل أن يبدأ ,

غداً امتحان الكيمياء العملي ,

يجب أن أسرع سأحاول بكل ما أوتيت من صبر .

لقد حسدت نفسي يبدو أن الاختناق اشتاق لي فعاد بجبروت أعظم متحداً مع صديقه الصداع ليمنعاني من الدراسة بعد أن استراحا قليلاً بالأمس ,

منهمكة جداً أدرس و أتألم و أقاوم كل شيء ,

تدخل أختي غرفتي بلا استئذان ,

لقد أحسست أن شيئاً سيئاً حدث كما يحدث كل يوم ,

إنها المصائب واحدة تلو الأخرى ,

- ما بك ؟ ما مصيبة اليوم؟
- اذهبي بسرعة إلى غرفة أمي فهي مريضة جداً !

رحت راكضة لأرى الأمر ,

أمي ملقاة على سريرها وجهها شاحب جداً ,

عيناها تغرغر و بالكاد تتحدث ,

أخبرتني أن رأسها يؤلمها بشدة و لا تستطيع أن تصف الألم !

خطر في بالي حينها أن ألعب دور الطبيبة لبرهة و بدأت أتذكر ال 42 فيديو الذين شاهدتهم عن الإسعافات الأولية ,

و أول شيء خطر في بالي عندما ذكرت الكهرباء في رأسها هو السكتة الدماغية ,

أخبرتها أن ترفع كلتا يديها معاً ففعلت ,

الحمد لله تبقى خطوتان ,

أخبرتها أن تقول جملة كاملة ففعلت ,

الحمد لله

بقيت الخطوة الأخيرة و الأصعب إن فعلتها فهي ليست سكتة دماغية و إن لم تفعلها فهي كذلك ,

قلت لها يا أمي أرني أسنانك,

فقالت لا أستطيع!

شعرت أن قلبي توقف و أنا سأموت حقاً ,

سحبت أختي جانباً و أخبرتها أن تتصل بالإسعاف فهذه حالة خطيرة و إن لم تذهب الآن سيزداد الوضع سوءاً ,

تلاحظ أمي أننا انسحبنا فتنادينا و تخبرنا أن نقول لها الحقيقة ,

لا نستطيع الكذب على أمي فهي تعرف عندما نفعل!

تخبرها أختي أني أشك أن لديها سكتة دماغية لأنها لا تستطيع أن تطبق أسنانها و تريِنا إياهم ,

فضحكت أمي و قالت لقد أخبرتكِ أني لا أستطيع لأني تعبة و لا أريد أن أبذل جهداً ,

و لكن الحقيقة أني أستطيع, انظري و فتحت فمها .

الحمد لله قد اطمأن قلبي,

و ضحك الجميع علي و أخبروني ألا ألعب دور الطبيبة مرة أخرى فأنا سأقتل جميع الناس ,

يستيقظ والدي أخيراً و يقوم بقياس حرارة ونبض و ضغط أمي كله طبيعي بفضل الله ,

لقد كانت نتيجة أمي منذ يومين سلبية , يبدو أن العدوى انتقلت و انتهى الأمر و هذا سبب ألمها ,

تبدأ أمي بتوصيتنا و افتراض أنها ستموت و تخبرنا أن نحرص أن يكون المنزل في أبهى صورة عندما يأتي الناس و لا ندعهم يفسدوه و أنها تريد أن تتكفن ببطانية جدتي رحمها الله و أن نتصدق بجميع نقودها و توصينا في دراستنا و أشياء مخيفة جداً ,

إن من عادة أمي أن تفعل هذا عندما تتعب ,

تميت قلوبنا بتفاؤل يعجز إبليس عن وصف مدى فظاعته و أظن أني ورثت هذا التفاؤل منها قليلاً,,

يحاول أبي و أخواتي تلطيف الجو و إلقاء النكات حتى تنسى أمي الألم و ظللنا نحاول إضحاكها حتى غطت في نوم عميق .

لقد انتهى اليوم و لم أدرس شيئاً !

أتمنى أن ينفعني برّي بوالدتي و أن يرزقني الله أسئلة سهلة أستطيع التعامل معها .

حقاً أريد أن يأتي الغد ,

أريد أن أنتهي من هذا الأمر بسرعة .

سأذهب لأنام حتى لا أشعر بالوقت .

11/2/2021

إنه اليوم المنتظر يوم امتحان الكيمياء,

توقظني أختي الساعة العاشرة صباحاً ,

مها أنقذينا , صديقتي لديها امتحان قرآن 3 متطلب جامعي و كان لديها ظروف و لم تدرس نريد مساعدتك.

طبعاً أعشق عمل الخير و مساعدة الناس و حللت معها الامتحان في أقل من ربع ساعة من أصل 50 دقيقة !!

فرجت كربتها لعل الله يفرج كربتي الساعة الثانية عشرة .

الانترنت جيد جداً حتى الآن سأترقب قليلاً ثم سأمتحن .

بالفعل دخلت الامتحان ,,

سؤال و آخر و آخر ,,

لقد أنهيت 10 أسئلة من أصل 20 و فجأة و بلا سبب انقطع الانترنت و اختفت الشبكة من الجهاز ,

يقول أبي يبدو أن الراوتر لن يعمل اليوم ,

يا لحظي البائس !

ما بالكيمياء تفعل هذا بي دائماً ؟

لم هي حاقدة علي لهذه الدرجة ؟!

ألا يكفي ما حدث يوم امتحان الكيمياء النظري و انقطاع الإنترنت أيضاً و ركضي في الشارع مغرقة بالدموع كي أصل لبيت خالي الذي يملك إنترنت؟!

و لكن الآن الوضع مختلف جداً ,

لو ركضت كل الشوارع و طرقت كل الأبواب باباً باباً ,, من المغفل الذي سيدخل مريضة كورونا بيته؟

من الأحمق الذي سيضحي بصحته و صحة عائلته لأجل امتحان ؟

وقفت أفكر لبرهة ,

كيف سأخرج من هذه الورطة ؟؟

و الوقت يمضي و يمضي و الأسئلة باقية و تحتاج تفكير ,

خطر ببالي أن أتصل بإحدى صديقاتي و أخبرها رقمي الجامعي و كلمتي السر حتى تكمل الامتحان من عندها و أبقى معها على الهاتف,

أول رقم في هاتفي كان رقم شمس ,

اتصلت مرة و اثنتين و ثلاثة و لكنها لا ترد ,

أحسست أني فقدت الأمل و لا جدوى من المحاولة فالوقت سينتهي ,

ثم قلت سأجرب الاتصال على أمل ,

يرن الهاتف ,,

الحمد لله لقد ردت أخبرتها بسرعة ما حدث و فتحت صفحتي من هاتفها و انتهى الامتحان على خير و الحمد لله .

حقاً حزنت على الرصيد الذي استنفذته و لكن كله فداء الكيمياء !

لقد كان يوماً مليئاً بآثار الفيروس النفسية ,

شعرت بالضعف حقاً ,

لو لم أكن مصابة لهرعت لأحد الجيران و لكن كل السبل كانت مغلقة في وجهي ,

الحمد لله الذي يقبلنا بكل حالاتنا .

2021/12/12

بعد غد هو أول يوم دوام في الفصل الثاني ,

كم كنت متحمسة لأتعرف على أصدقائي الذين لا أعرف منهم شيئاً سوى صورة إلكترونية مفلترة , و رموز و ملصقات لا أدري حقاً هل تعبر عن شخصياتهم ,

الجميع سيجتمع إلا أنا ,

سأبقى وحيدة أتابع المحاضرات من المودل اللعين ,

سأحرم من ضحكات صديقاتي و كافيتريا الصباح و نعاس المحاضرات ,

لم أشعر و لو ليوم واحد حتى الآن أني طالبة طب!

أريد أن ألعب الدور

كم أتمنى أن أحضر الدوام و لكن يبدو أن أمنياتي ستبقى محجوبة عن بصري ,

لم تهرب الأمنيات مني؟

هل تخاف هي أيضاً أن أنقل إليها العدوى فتصبح أمنيات عاجزة؟

لم يعد يهمني الصداع و لا الاختناق ,

كل ما يهمني أن أعود لحياتي الطبيعية جزئياً ,

من كان يتخيل أن أشعر بالعجز إلى هذا الحد !

2021/2/14

بدأت الأوجاع تتلاشى صارت تزورني قليلاً و لم تعد تحبني كما كانت من قبل ,

اليوم آخر أيام الحجر المنزلي, أخيراً سأخرج من السجن , أشعر كأني طير خلق له أجنحة جديدة ,

أتحدث مع صديقتي أخبرها بفرحتي فتخبرني بصوت مرتعش , أنا سأهرب إن رأيتك , إني أخاف على نفسي ,

لقد كان كلامها غصة في قلبي ,

لا داعي للخروج فقد انتهى كل شيء ,

تفكير الناس سطحي للغاية و غير منطقي , دائماً يحكّمون قلوبهم الغبية على عقولهم ,

لم هم خائفون لقد انتهت رحلتي مع الفيروس أليس كذلك؟

أخرج في الشارع إني طفل يحبو أول مرة , و كأنني محبوسة منذ قرنين ,

خرجت فعلاً اشتريت الكثير الكثير من الأشياء و من عادة أبناء الجيران إن رأوني أحمل الكثير , يساعدونني في إيصال الأشياء للمنزل , لقد أتى أحدهم لمساعدتي و ما إن اقترب , قال و كأنه رأى شبحاً , لقد نسيت أنكِ مصابة بالكورونا و أدار ظهره و رحل!

لم يخطئ فأنا كنت مصابة و لكن الآن أنا بصحة جيدة و لدي أجسام مضادة ,

و لكن من يقنع هذه العقول الساخطة

سأتجه للحياة بكل ما بقي من ركامي و سأواجه العالم بعين من حديد ,

لقد رحل الفيروس و ترك شخصيته المتغطرسة داخلي ,

لم يعد الصداع يخيفني فبعد كل شيء لقد أصبحنا أصدقاء,

لقد غيرتني هذه التجربة كثيرة ، و كأنها مرحلة نمو ، صوتي لم يعد صوتي و أنا لم أعد أشبهني، ترى هل سيعرفني أصدقائي إن رأوني ؟ لا يهم هذا فلقد أصبحت شخصاً آخر , لقد أصبحت من جنود الفيروس

لقد تعلمت منه مالم تعلمنيه المدارس و لا المساجد و لا الجامعات ،

لقد جعل مني نموذجاً في التحمل ،

جعلني خفاش لا ينام الليل ،

جعل مني غيمة تمطر سكاكيناً تغرق قلبي و تمزقه ،

جعلني أميز الصديق الذي يقف بجانبي عن أخ المصلحة ،

لقد كانت خيبة مليئة بمغامرات الأسطورة

خططتها في مذكراتٍ لمحجورة